أهمية العراق

في

الإستراتيجية الإيرانية

د . علي الغالب

خاص لموسوعة الرشيد

المقدمة

يحظى العراق باعتباره احد البلدان الخليجية العربية باهمية كبيرة في الادراك الايراني ،وهذا بالتاكيد سببه المقومات المهمة الضرورية التي يمتلكها، فالقرب الجغرافي والموارد الاقتصادية والبشرية مكنه من ان يصبح احدى القوى الفاعلة في الاقليم وعنصرا اساسيا في تقرير التوازنات الاقليمية القائمة في المنطقة .

ان هدف ايران الرئيسي هو ايجاد تخطيط لاسراتيجيات متعددة وانفاذها جميعا بالتوازى والتزامن وفق نمط من التفاعل والارتباط بينها، من اجل تعزيز قدرات ايران كدولة اقليمية مسيطرة ، فى النموذج العراقى.

فتكمن المصلحة الايرانية منع هذا البلد من التحول مرة اخرى الى دولة قوية تناطح ايران وتحد من قدرتها على مد نفوذها وتحقيق اهدافها فى الاقليم العربى، وذلك هو ابرز ما تعلمته ايران واستنبطته من الحرب العراقية الايرانية .
الا ان الاستراتيجية الايرانية اتسمت بالغموض فيما يتعلق بطبيعة الموقف الايرانى من قوة الاحتلال الامريكية فى العراق ومن القوى العراقية التى تتعاون معها ايران فى داخل العراق ، اذ لا نجد اية تصريحات سياسية واعلامية ايرانية على نفس درجة الوضوح كنظيرتها التى تتعلق بالقضية الفلسطينية .

المبحث الاول : الأهمية الجيوستراتيجية

يقع العراق في الطرف الجنوبي الغربي من قارة اسيا من منطقة تؤلف جزيرة العرب التي تعد نقطة الوسط للقارات الثلاث أروبا و اسيا وافريقيا[1] ، ويعد الموقع من العناصر الثابتة في الجغرافيه الا ان اهميته هي التي تتغير فإما ان يفقد أو يكتسب اهميه جديده حسب التطورات الحاصلة[2].

وتدرس اهميه الموقع من عدة مجالات منها الموقع الفلكي ، ويقـــــــع العراق مابين خطي طول 45 ــ 38° و45-48° شرقاً ودائرتي عرض 5 ــ 29° ، 23-27° شمالاً[3] . ولخطوط الطول والعرض اهمية من حيث المناخ و التنوع الزراعي اضافة الى قيام الصناعات الانتاجيه التي تعتمد على مناخات معينة.

[1] طه الهاشمي، جغرافيه العراق، مطبعة الكشاف ، بيروت ،الطبعة الثانية ، 1939 ، ص 4

[2] د. محمد ازهر سعيد السماك ، الجغرافية السياسية اسس وتطبقيات، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، العراق ،1988 ، ص 75

[3] خطاب العاني ، جغرافية العراق ارض وسكان وموارد اقتصاديه ، المكتبه الوطينه ، بغداد ، 1990 ، ص9

وبالنسبه للعراق فان طبيعه موقعه هذا جعلته يمر بفصول مناخية متنوعة ساعدت على تنوع زراعته اضافة الى انها ساعدت على انتشار زراعة محاصيل متنوعة في الشمال عن الجنوب .

اما من حيث الموقع البحري فانه يساعد بالنسبة لهذا الموقع على تحديد طبيعة مصالح الدولة وحالاتها الاقتصادية والسياسية فالدول المطلة على بحار أو خلجان ترتكز اهميتها على خلفية الساحل المطلة عليه هذه الدولة .

اذ ليست كل البحار اوالخلجان متساوية من حيث الاهمية[4] .

وعليه فان اهمية الموقع البحري تاتي للدولة من اهمية البحرأو الخليج ولكن بالنسبة للعراق على الرغم من كونه دولة شبه حبيسه ألاان اطلالته على الخليج العربي اكسبته اهمية استيراتيجة نابعه من أهمية الخليج العربي نفسه كونه يتمتع بمميزات جيواستراتيجية مثل وجود أكبر احتياطي للنفظ فيه وهو حلقة وصل بين المحيط الهندي والبحر المتوسط اضافة الى طبيعه الدول المطلة و القريبة منه ونشاطاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية هذه اضفت اهمية خاصه للخليج العربي في الاستراتيجيات الدولية[5].

[4] د . نافع القصاب وأخرون، الجغرافية السياسية، مؤسسه دار الكتب للطباعه والنشر، العراق ، بلا ، ص 33

[5] صباح محمود، الصراع الجيوبوليتكي في الخليج العربي، مطبعة السعدون، بغداد، 1986 ،ص ص 9 - 11

وحظى العراق بهذه الاهمية النابعة من اهمية الخليج العربي اضافة الى أن العراق استفاد من اطلالته عليه كمرتكز قوه اقتصادي فالموانى التجارية تعد مصدر اساسي للاستيراد اضافه الى انها مركز رئيسي لتصدير النفط والمواد الاولية العراقية.

كذلك فان العراق يعد ثاني اعلى بلد في الوطن العربي من حيث الموارد المائية التي يبلغ حجمها 44.1 مليار م3 في السنه ذلك حسب احصائيات 2002 [6]. ويقع العراق من حيث النقل الجوي على اقصر الطرق التي تربط بين بلدان غرب اوربا وبلدان جنوب شرق اسيا. وفي ظل مامتوقع من زيادة في مستوى خدمات النقل الجوي ومدى الاستثمار فيه فان العراق يمكن أن يكون مركزاً لمرور وهبوط الطائرات مما يدعم الاقتصاد العراقي[7] .

فاشتراك العراق مع ايران، وبالاخص باطلالاته على الخليج العربي، مما جعل واقع العلاقات بينهما يتسم بالتوتر والذي قاد في بعض الاحيان الى الصدام، فايران تسعى الى مناصفة العراق في هذا النهر الملاحي الرئيسي للعراق في اتصاله بالعالم الخارجي ،رغم عقد الطرفين العديد من الاتفاقيات اخرها اتفاقية الجزائر عام 1975، والتي تم بموجبها تحديد الحدود النهرية حسب خط التالوك، وكرد فعل الغيت هذه الاتفاقية من قبل النظام

[6] التقرير الاقتصادي العربي الموحد، صندوق النقدي العربي، أبو ظبي ،2003 ، ص 267

[7] خطاب العاني ، جغرافية العراق ارض وسكان وموارد اقتصاديه،مصدر سبق ذكره ص11

الايراني ، وخاضت الدولتان حربا استمرت ثماني سنوات (1980–1988) نتيجة رفضها السيادة العراقية على شط العرب، كما ترفض اي تغيير في رسم الحدود .[8]

وبحلول عام 2003 ازدادت اهمية العراق في الادراك الايراني، فعراق قوي ومتحالف مع قوى معادية لسياستها كما هو الحال مع الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل سيكون مهددا لامنها القومي، ولهذا سعت لاتباع وسائل متعددة لتحقيق اهدافها خصوصا وان العراق الان يشهد مرحلة يمكن اعتبارها فرصة ذهبية لايران.

ومن بين هذه الوسائل المتعددة، محاولاتها الرامية لمد نفوذها في داخل أراضيه بحجة مساندة قيام دولة اسلامية جارة لها، وهي تتعرض للاحتلال المباشر ،وعليه تستطيع حماية امنها الوطني وحماية اراضيها من محاولات اطراف دولية بالاعتداء عليها باتهامات شبيهة بالادعاءات التي وجهت للعراق قبل مرحلة الاحتلال كالسعي نحو امتلاك السلاح النووي .[9]

اذن العراق بحكم جغرافيته المتميزة اصبح موضع اهتمام كبير لدى العديد من الدول ، مما أدى الى تعرضه لمشاكل وصراعات متعددة ولفترات طويلة وبدعم من قبل القوى الدولية

[8] شيماء عادل القره غولي، أثر المتغير الايراني في العلاقات العراقية –التركية مرحلة ما بعد الحرب الباردة، رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية العلوم السياسية ، جامعة النهرين ،بغداد 2006ص64

[9] د.خضر عباس عطوان ،النظام السياسي في العراق – قراءة في تاثير البيئة الدولية ،مجلة ايران والعرب ،العدد(9)،(بيروت :مركز الابحاث العلمية والدراسات الستراتيجية للشرق الاوسط ،2004)،ص20

،وبالأخص مع جيرانه ومن بينهم ايران التي خاض معها حربا ضروسا استمرت ثمانية اعوام قادت البلدين لخسائر مادية وبشرية لكلا الطرفين[10] .

المبحث الثاني: الأهمية الإقتصادية

ولا تقل الاهمية الاستراتيجية الاقتصادية للعراق عن اهميته الجغرافية ، ولعل ابرز ذلك هو الاحتياطي النفطي الضخم الذي يمتلكه العراق .

أن الاهمية التي يمكن أن يخلقها الاقتصاد العراقي ويضيفها للاهمية الاستراتيجية مستقبلاً لايمكن اعتمادها فقط على النفط على الرغم من أنه الركيزه الاساسية في المرحلة الاولى الاأن الاصلاحات والتغيرات الهيكليه للاقتصاد العراقي التي يمكن أن تساعد في الانتقال للمرحلة الثانية وهي التي يمكن أن تعجل النمو والتنمية المطلوبة في ظل الاستفادة ايضاً في

[10] بهاء عدنان يحيى الحسني، الاهمية الاستراتيجية للعراق في المدرك الاستراتجي الأمريكي (دراسة مستقبلية)،رسالة ماجستير غير منشورة،قسم الاستراتيجية،كلية العلوم السياسية،جامعة النهرين،2005،ص46

كل مرحلة من النفط على أن لايكون العنصر الوحيدفي بناء الاهمية اذ ان هناك استيراتجيات اقتصادية مثل الخصخصة والاستثمار الاجنبي المباشر تعد من المكونات الاساسية للاهمية الاقتصاديه . ويمتلك العراق موارد اقتصادية اهمها :-

1. النفط

فالعراق يمتلك ثاني احتياطي نفطي في العالم بعد المملكة العربية السعودية في مساحاته المكتشفة ، وطبقا لتقديرات حديثة فان حجم الاحتياطي العراقي من النفط الخام يصل إلى (112.5) مليار برميل، أي ما يعادل (11%) من إجمالي الاحتياطي العالمي[11].

كما يتمتع العراق بطاقات نفطية هائلة. فمن أصل حقوله النفطية الأربعة والسبعين المكتشفة والمقيمة ، لم يستغل منها سوى 15 حقلا.

هذا فضلا عن انه يمتلك مساحات غير مكتشفة وبالاخص في صحراءه الغربية[12]،وهذا يعني انه في ظل غياب بدائل الطاقة الاخرى حتى الان ولزمن غير منظور ،يصبح قادرا ولفترات طويلة على تزويد العالم بالنفط .

[11] شيماء عادل القره غولي، أثر المتغير الايراني في العلاقات العراقية –التركية مرحلة ما بعد الحرب الباردة،مصدر سبق ذكره،ص64

[12]) عبد الخالق عبد الله ،الولايات المتحدة ومعضلة الامن في الخليج العربي،مجلة المستقبل العربي ،العدد (299)،(بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ،1/2004)، ص19

الأمر الذي مكن متخذي القرار من مواجهة تحديات كبيرة لعل أهمها فرض الضرائب والاقتراض والاستثمار الأجنبي، وحررتهم من القيود والمشكلات التي يفرضها النقص أو الشحة في تلك الموارد.

مع ذلك فان هذه الوفرة أتاحت لمتخذي القرار فرصا للمغامرة لم تكن متاحة لغيره، فكانت مغامراتهم كوارث حلت بالاقتصاد منذ عام 1980 وحتى انهيار النظام السياسي في العراق في نيسان عام 2003. هذا من جهة، ومن جهة اخرى ان احتياطي العراق الهائل يشكل لإيران احد المنافسين الرئيسيين بالنسبة لها في مجال النفط بالعالم عموما وبالشرق الاوسط خصوصا وذلك طبقا لما اعلنه الخبراء في وزارة الطاقة الاميركية.

بما ان العراق يمتلك احتياطيا نفطيا هائلا ويسعى لزيادة إنتاجه النفطي من (5) الى (7) مليون برميل بحلول عام 2020 ،وهذا اقل بالتأكيد من حجم الاحتياطي النفطي الإيراني في العام نفسه .[13]

[13] شيماء عادل القره غولي ،أثر المتغير الايراني في العلاقات العراقية –التركية مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ، مصدر سبق ذكره ص67

لهذا ترى ايران ان إشعال العراق بحروب طويلة سيساهم في تصدير نفطها وبكميات كبيرة وبالاسعار التي تريدها من خلال استغلال ظروف انشغال العراق بالحرب فتقوم عوضا عنه بتزويد العالم بالنفط ،باعتبارها من الدول النفطية الكبرى .

وخير مثال حرب الخليج الثانية عام 1991 ، فما ان توقفت صادرات العراق والكويت من النفط سرعان ما اعلنت ايران عن عزمها على زيادة صادراتها البترولية من(3.5) مليون برميل يوميا الى (5) ملايين في عام 1993 .

2. الى جانب النفط يمتلك العراق احتياطات كبيرة من الموارد الطبيعية الأخرى كما هو الحال مع الغاز الطبيعي ،الذي تشير اخر احصائياته الى ان كمية احتياطية وصلت في عام 2003 الى ما يقارب (109.5) مليار متر مكعب،هذا الى جانب الزئبق والنحاس ..الخ.[14]

3. يمتلك العراق امكانات زراعية يعكسها توافر مساحات شاسعة من الأرض الزراعية. ذلك ان مجموع الأراضي القابلة للاستغلال يزيد عن (48) مليون دونم، لم يستغل منها سوى (12.3) مليون دونم ،وهذا مما جعله يمتلك امكانيات زراعية هائلة.

[14] شيماء عادل القره غولي ،أثر المتغير الايراني في العلاقات العراقية –التركية مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ، مصدر سبق ذكره ص68

4. يعتبر العراق سوقا مهما لتصريف المنتوجات الايرانية ،وبالاخص المنتوجات الصناعية والمواد الغذائية.[15]

هذا الى جانب ان تجارة الحدود تساهم في الدخول بمشروعات اقتصادية تجمع البلدين من الممكن ان تعود على نفع كبير على إيران وخصوصا وان العراق مقبل على مشاريع إستثمار ضخمة ضمن إطار مشاريع اعادة الاعمار .

اذن وفي ضوء المقومات الاقتصادية للعراق ، و نتيجة للمشكلات الاقتصادية التي تعاني منها ايران، ازدادت الاهمية الاقتصادية للعراق في ضوء الادراك الايراني فهي ترى في العراق فرصة ذهبية اتيحت لها بحكم الجوار الجغرافي لاصلاح اقتصادها الذي يعاني ولفترات طويلة من تذبذبات .

وبتعرض العراق للاحتلال من قبل الولايات المتحدة الامريكية في 9-4- 2003،استمرت الاهمية الاقتصادية للعراق في الادراك الايراني بحكم حاجتها نحو توطيد علاقاتها مع الحكومات العراقية الجديدة والقادمة سبيلا لتحقيق اهدافها الاقتصادية والتي تأتي في مقدمتها تامين الاستثمارات اللازمة سبيلا لحصولها على اجتذاب المزيد من التمويل لعملياتها وزيادة

[15] المصدر نفسه،ص68

طاقاتها الانتاجية لتواكب الطفرات الانتاجية ،والتي تحدث في المنطقة وهذا بالتاكيد لن يتم دون ان يكون للعراق من حكوماته الجديدة الرغبة في ذلك .

على الرغم من ان ايران تتمتع بعائدات نفطية كبيرة ،وقامت باصلاحات اقتصادية واسعة كتوفير احتياطي مناسب من العملة الصعبة ،وقروض خارجية متعادلة ،ومكانة اقتصادية ومالية بالمستوى المطلوب في النظام الدولي[16] .

الا انها ترى في العراق ضرورة اقتصادية ،وبالاخص وهي تمر بحرب نفسية موجهة ضدها في محاولة لوضعها في مدار التهديد وجعلها مركزا مستهدفا بالاخبار السلبية والصراعات المختلفة من الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل ،والعديد من الدول الغربية ،مما يؤثر بالتاكيد على نموها الاقتصادي الذي يعتمد بشكل عال على الصادرات وهذا ما اشارت اليه العديد من الدراسات ،وبما ان الصادرات اغلبها او معظمها من النفط الخام ،فبالتالي اصبح وفق ما تقدم نموها الاقتصادي مرتبطا الى حد كبير بالمتغيرات الخارجية .

اذن وفق ما تقدم هذا يعني ان العراق في ضوء الادراك الايراني من المقومات الاقتصادية المهمة التي يجب السعي للمحافظة عليها ،آلى جانب الانفتاح والتوافق مع مستجدات

[16] حسين موسوي، الاقتصاد الايراني ضرورة التصحيح البنيوي، مجلة شؤون الاوسط، العدد (104)،(بيروت:مركز الدراسات الستراتيجية، خريف-2001)، ص182

الاقتصاد العالمي ومعرفة شروط التعامل التي اعتمدت خلال السنوات الاخيرة ضمن مستلزمات عضوية منظمة التجارة العالمية سبيلا لتطوير بنيتها الاقتصادية ،ودفع البلاد نحو التنمية الاقتصادية الممكنة[17].

المبحث الثالث: الأهمية السياسية والأمنية

تتضح الفاعلية السياسية لكل وحدة دولية عبر توظيف عناصر القوة ومعالجة مكامن الضعف في مقوماتها المادية والمعنوية والتي تخططه عبر استراتيجيتها وتنفذها عبر سياستها كما ان الفاعلية تتضح عبر السياسة العامة للدولة والتي تجسدها في سياستها الداخلية والخارجية . وبالنسبة للعراق فان الأهمية السياسية التي تضاف للأهمية الاستراتيجية تكمن في معالجة السلبيات والمشاكل وبناء نموذج سياسي خاص بالعراق يحيط بكل مسألة تساند هذا النموذج ويكون النجاح في بناء هذا النموذج هو الركيزة في صناعة الأهمية .[18]

[17] شيماء عادل القره غولي ،أثر المتغير الايراني في العلاقات العراقية –التركية مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ، مصدر سبق ذكره ص69

[18] بهاء عدنان يحيى الحسني، الاهمية الاستراتيجية للعراق في المدرك الاستراتجي الأمريكي (دراسة مستقبلية)،مصدر سبق ذكره،ص65

تشكل الأهمية السياسية والأمنية للعراق جانبا مهما في الإدراك الإيراني ،ومرده بالتأكيد جملة محددات يمكن تبيان أبرزها وكآلاتي:[19]

1. يعتبر العراق حجرا ركنيا في الامن القومي العربي أو الامن الخليجي، وهو ليس تعبيرا لغويا بقدر ما هو حقيقة ستراتيجية وعسكرية وسياسية .

2. باعتبار العراق بلد مسلما، ويمثل لإيران ثقلا شيعيا خاصا ومهما لأقصى حد وابعد مدى ممكن ،كما ان وجود الأماكن المقدسة في العراق وبالأخص في محافظتي (النجف و كربلاء) تأسست بينه وبين ايران علاقات تاريخية ودينية ،وقد سعت ايران من وراء هذه العلاقات الى التوجه ببعثة ايرانية الى خارج حدود ايران ،وهو امر ثابت وواضح .

ان كل ما تقدم من اجل اقامة امبراطورية اسلامية ،تكون ايران قاعدة انطلاقها ،وذلك لان الادراك الفكري لايراني لم يتحرر من الارث التاريخي والحضاري في رؤيته للعراق ،وعلى هذا الاساس انطلق الادراك الايراني في الغالب من عقيده فكرية قوامها الطموح الرامي لاستعاده نفوذها الامبراطوري .

[19] شيماء عادل القره غولي ، أثر المتغير الايراني في العلاقات العراقية –التركية مرحلة ما بعد الحرب الباردة، مصدر سبق ذكره ص70

ولتحقيق ذلك سعت ايران وعلى مدى التاريخ للاستمرار في العمل بمبدأ ((خذ وطالب)) ،كلما رات ان الظروف مواتية للاستيلاء على اراضي جديدة والحصول على امتيازات اضافية وما حدث في حرب الخليج الاولى خير دليل على ذلك، الامر الذي رسخ منظومة ادراك غير ودية متبادلة بينها وبين العراق .

3. بما ان العراق يضم في تركيبته الاجتماعية اقليات متعدده ومنها الاقلية الكردية كما هو الحال مع ايران ،فبالتالي تدرك ايران ضرورة السعي الى الحفاظ على تماسك وحدة العراق ،وهذا لا يمكن اعتباره هدفا ايرانيا بقدر ما هو الخوف من ان تنشط المعارضة الكردية في ايران ،وعلى هذا الاساس فهي تعارض اي مشروع يبغي تقسيم العراق.

4. يمتلك العراق قاعدة حضارية وثقافية ،باعتباره قامت على أرضه أولى الحضارات ،وهذا ما ترتب عليه أهمية كبيرة له في الإدراك الإيراني الذي سعى ولا يزال يسعى لاستهداف البناء الحضاري والعلمي فيه على اعتبار أن هذا البناء من وجهة نظرها ليس أصيلا ،ومن ثم لابد من تدميره.

5. أدراك إيران بان العراق يشترك معها في اتصاله بمتغير خارجي سلبي وهو الولايات المتحدة الأمريكية ،وعلى هذا الأساس تحاول جذب العراق نحوها من خلال إقناعه بأنهم مشتركون في نفس العدو والمتمثل في الولايات المتحدة الامريكية.

في الحقيقة ان ما يحصل الان في العراق تحت مسميات ومبررات عديده ممكن ان تبرز ايران واحده من هذه الدول التي يتوضح لها الكثيرون ان تكون محط تركيز انظار الولايات المتحدة الامريكية وفق تحولات ستراتيجية امنها القومي الراهن.

6. تسعى إيران الى الاشراك في أي ترتيبات امنية اقليمية مستقبلية ،ففي ضوء ادراكها تنظر للعراق بانه يشكل عنصرا مهما في تقرير توازن القوى في المنطقة ،ولذلك تسعى الى التواصل معه سبيلا لاداء دور اقليمي مهم في المنطقه عامة والعراق خاصة.

ان سمة العداء ما بين العراق وايران وطابع المنافسة الاقليمية وارث حرب شاملة وعوامل متعددة أخرى رتبت في أدراك صانع القرار الإيراني قناعة مفادها ،ان اي مكاسب اقليمية يحصل عليها العراق لابد وانها ستكون على حساب المصالح والطموحات الايرانية في

منطقة الخليج العربي ،ومن ثم يقوي موقف العراق التفاوضي معها ،لذا رفضت ايران حصول العراق على أية مكاسب قد يخرج بها كاحتفاظه بجزيرتي بوربة وبوبيان .[20]

وقد اشار في حينها وزير الخارجية الإيراني آنذاك ،بقوله: ((ان اي تغير في الوضع الجيوسياسي في المنطقة سيعتبر من وجهة نظر طهران ذا نتائج خطيرة على أمنها القومي))[21].

فضلا عن اصدارها قرارا بعد الحرب باحتفاظها بالمقاتلات العراقية التي لجأت اليها اثناء الحرب كتعويض لها عن حرب الخليج الأولى، الأمر الذي شكل اضافة لكمية ونوعية السلاح الجوي الإيراني ....وهذا وكنتيجة نهائية للحرب ،أصبحت إيران ابرز قوة إقليمية كبرى في المنطقة عسكريا [22].

وبعد ان اطاحت القوات الامريكية في النظام السياسي السابق في العراق،كمحاولة للسيطرة على الوضع الشرق اوسطي كله اعتمادا على العراق كقاعدة ، مما يجعل مطلب ايران

[20] جورج فريدمان ،مستقبل العراق :البحث عن توازن تجاه ايران ، مجلة المستقبل العربي ،العدد (304)،(بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ،4/2005)،ص84.

[21] شيماء عادل القره غولي، أثر المتغير الايراني في العلاقات العراقية –التركية مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، مصدر سبق ذكره ص70

[22] د.احمد كمال شعث ،العراق المغبون ...وتداعيات حرب الخليج ،(القاهرة :مكتبة المدبولي ،بلا سنة)،ص250

الامني اكثر إلحاحا ، ذلك لان العراق باعتباره جارا لايران يمكن ان تشن الولايات المتحِدة الامريكية عملا عسكريا وتقوم بالمبادرة بضربها هذا من جهة ،ومن جهة اخرى ان ايران كانت تدرك ان امريكا تتبع ستراتيجية التحييد تجاهها فيما يخص الازمة العراقية ، والتلويح لها بورقة السلاح النووي من اجل ابعادها عن ساحة الصراع بين واشنطن والعراق .

أن إيران رغم إعلانها بان برنامجها النووي سلمي ومتواصلة في تقديم التقارير الكاملة للوكالة الدولية للطاقة الذرية ،وبأنها واضحة وصريحة في تعاملاتها مع بقية اطراف المجتمع الدولي ،الا ان الشك حولها لازال قائما ،نتيجة ادراكها بان محاصرتها سوف لن يحقق مقاصد الولايات المتحدة الأمريكية فقط التي تسعى جاهدة لتحقيقها وانما أيضا يحقق أهداف أو مقاصد منافسيها في المنطقة مثل تركيا و إسرائيل . [23]

وهذا مرده بالتاكيد اسباب في مقدمتها ان ايران استطاعت امتلاك هذه التقنية بشكل بعيدا عن مساعدة الغربيين وعن احتكاراتهم ،وخير من عبر عن ذلك ما ورد على لسان كبير مستشاري مرشد الثورة ورئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام (هاشمي رفسنجاني) الذي يضيف موضحا بما لا يقبل التاويل والتفسير (نحن متمسكون بهذه التكنولوجيا، سترون في

[23] شيماء عادل القره غولي، أثر المتغير الايراني في العلاقات العراقية –التركية مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ، مصدر سبق ذكره ص75

المستقبل ان ايران ستمتلك كل ما تحقق في العلم النووي ،وبرنامجنا للتخصيب لا يستهدف الاستخدامات العسكرية انه مكرس تماما للاغراض السلمية.

وما نتوقعه من اوربا ان تنتهز هذه الفرصة اذا كان يساورها اي قلق لتناقشه معنا وتطرح اي اسئلة لديها وستحصل على اجابات .لكن بعد انقضاء هذه الفرصة، والتي يجب ان تكون قادرة على صنع الثقة في غضون اشهر معدودة، فاننا نعتزم المضي بكل قوتنا وتصميمنا لمواصلة التخصيب وبرنامجنا النووي).[24]

وبما ان السياسة الايرانية باتت تدرك ان الساحة العراقية لازالت تزخر بالعديد من المفاجئات ،وان الوقت لم يعد لصالح انجاح المشروع الامريكي في الانقضاض على ايران بل العكس تماما ،اذ لابد ان يكون لايران دور فاعل في ظل ما يجري من احداث ، وعلى هذا الاساس سعت لاتباع جملة سياسات لمجابهة هذا التهديد منها:[25]

1. الاعتراف بالحكومة الانتقالية في العراق ، رغم انها تعد ان العراق دولة محتلة من قوات اجنبية ،وان ما يصدر من المحتل من وجهة نظرها غير مقبول ،ان لم يكن غير

[24] محمد صادق الحسيني ،سفر التكوين النووي الايراني وسفر الخروج العسكري الامريكي ،مجلة اراء حول الخليج ،العدد 6، الامارات ، مركز الخليج للابحاث ، 2005.ص19

[25] نادية فاضل ، مستقبل ايران ...بعد الاحتلال الامريكي للعراق،اوراق دولية ،العدد (139)،(بغداد :مركز الدراسات الدولية ،ت1-2004)، ص 24

مشروع ،الا انها اعترفت بهذه الحكومة ومن قبله مجلس الحكم الانتقالي ،سبيلا لتحقيق التوازنات الاقليمية ،وملائمة للمصالح العامة وللمقاصد الايرانية .

2. الحرص على عدم التورط في اي سياسة يمكن ان يفهم منها ان ايران تقف ضد الوحدة الوطنية للعراق.

3. حرصت ايران على توطيد علاقاتها مع المراجع الدينية الشيعية في العراق ،سبيلا لتحقيق رغبة تقوم على اساس عدم تأسيس دولة علمانية في العراق تدخر قدرا كافيا من العداء لمنهجها الاسلامي اولا وليست لديها الرغبة في عودة الاقتتال مجددا في ضوء ما توفره الفرص المتاحة لامكانية نجاح المشروع الامريكي في العراق ثانيا .

4. تنشيط سياسة خارجية فعالة تجاه دول الجوار تحاول تبرير نفسها من الاتهامات التي وجهت حولها في التدخل في الشؤون الداخلية للعراق ،وذلك من خلال عقد المؤتمرات والاجتماعات والزيارات التنسيقية مع دول الجوار من اجل تحقيق الاستقرار في العراق ،فعلى سبيل المثال بادرت الخارجية الايرانية الى عقد اكبر مؤتمر اقتصادي مشترك مع الوزراء العراقيين والتجار في طهران حيث ضم اكثر من (400) شخص عراقي بين مسؤول وتاجر ، وتغلبت لغة السياسة على لغة الاقتصاد ،لكن ازدياد الاتهامات العراقية

لايران ترك بصمات على القرار السياسي الايراني ،وهكذا صدر اول رد فعل من الناطق باسم الخارجية الايراني حميد رضا اصفي ،الذي قال " اذا كانت الحكومة العراقية تمتلك وثائق فلتنشرها "[26].، فضلا عن قيام وزير الخارجية الايراني في3 كانون الثاني عام 2004 بزيارة رسمية الى دمشق للتنسيق معها ومع تركيا فيما يخص بما يحدث في العراق ،وادراكهما اهمية انهاء الاحتلال ونقل السلطة الى الشعب العراقي، وتم الاتفاق على عدة نقاط من بينها الحفاظ على وحدة العراق (وعدم تأسيس كيان كردي في العراق)[27].

كما ان عقد اجتماع وزراء داخلية العراق والدول المجاورة له ومصر في 2 كانون الاول عام 2004 في ايران وبالتحديد في عاصمتها طهران دليل على حرص ايران على السعي نحو تقليص مهددات امنها القومي.

وقد أعرب في حينها وزير الداخلية الإيراني (عبد الواحد موسوي لاري)عن ((استعداد بلاده لتعزيز قواتها المرابطة على الحدود وندد بكافة أعمال العنف في العراق، التي قال إنها تساعد على إطالة وجود القوات الأجنبية)).[28]

[26] حميدي ،تنسيق سوري – ايراني ،صحيفة الحياة ،العدد (14892)،4-1-2004،ص2.

[27] حسين حافظ وهيب ،السياسة الخارجية الايرانية بين البرغماتية والمبدئية في الموقف من العراق ،اوراق دولية ،العدد (134)،(بغداد:مركز الدراسات الدولية ،جامعة بغداد ،ايار 2004)،ص16

[28] شيماء عادل القره غولي، أثر المتغير الايراني في العلاقات العراقية –التركية مرحلة ما بعد الحرب الباردة، مصدر سبق ذكره ص 78

كذلك ان زيارة وزير الخارجية الايراني الى العراق ولاول مره بعد احتلاله يمكن عدها واحدة من الخطوات المهمة في سعي الجانب الايراني لتوطيد علاقاته مع الجاره المهمة العراق.

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا ، ان العراق في المدرك الاستراتيجي الايراني ، يحمل نفس الاهمية التاريخية بالنسبة لايران في مختلف ازمانها ، واذا كان هناك اختلاف ،فانه اختلاف بالوسائل وليس بجوهر الأدراك الإيراني ، اي ان العراق وبحكم موقعه الجغرافي وما يمتلكه من ثروات وما تحيط به من متغيرات ، سيبقى على الداوم ،ذو اهمية استراتيجية لايران ، ولن يتوقف واضعوا الاستراتيجية الايرانية عن وضع العراق في اولويات بنائهم الاستراتيجي الاقليمي.

الخاتمة

إن مستقبل الإستراتيجية الإيرانية في العراق، مرتبط بمتغيرات داخلية ومؤثرات خارجية، وإن الإستراتيجية الإيرانية في العراق تعيش حالة من التفاعل الشديد مع مشروع العالمية الأمريكي، وخصوصا وإن العراق اليوم يمثل نقطة ارتكاز لكل من المشروع الإقليمي لإيران ولهدفها في سيادة المنطقة الإقليمية المحيط بها، ومشروع الولايات المتحدة الذي يتمثل في القيادة العالمية لها والذي يعتبر تأمين مصالحها في ما يعرف "بقوس المصالح الأمريكية" الممتد من منطقة الخليج إلى حوض بحر قزوين أمر حيويا وأساسيا لتحقيق هيمنتها العالمية أو ما يسمى الآن القيادة الأمريكية للعالم.

وعليه فإن الاحتمالات المستقبلية للإستراتيجية الإيرانية تنحصر ضمن بوتقة هذا التفاعل ومن ثم مخرجاته وانعكاساته. وبالتأكيد فإننا اليوم نعيش في مرحلة مفصلية من مفاصل التفاعل الأمريكي الإيراني في المنطقة، وإن صانعي القرار في كلا البلدين يمارسون لعبة غاية في الخطورة والأهمية، خصوصا وإن النتائج التي من الممكن أن تترتب ستكون إما نصرا استراتيجيا قد يغير من طبيعة المنطقة وخصوصا العراق، وأما هزيمة قاسية سيكون انعكاسها على المنطقة التغيير أيضا.